فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ الباء الزايدة موكدة والضمير راجع للنبي صلي الله عليه وسلم
اي امسك النبي صلي الله عليه وسلم لسان نفسه بيده ثُمَّ قَالَ كُفَّ من كفه
منعه وفي رواية وفي رواية اكفف وفي رواية امسك عَلَيْكَ اي عنك
او ضمن كف معني احبس عليك لسانك لا يوذيك بالكلام هَذَا
اي عن الشر فان افته عظيمة ولذا قال الغزالي اللسان من نعم الله العظيمة
ولطايف صنعه القويمة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اي ذنبه اذ لا تبين صنعه القويمة
الكفر والايمان الا به وكلما يتناوله الفهم يعبر عنه اللسان اما
بحق او باطل وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان كل عضو يختص
علي منفعة فمن اطلق عذبة اللسان ملكه الشيطان ولا ينجوا من
شره الا ان يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة
ويكفه عن كل شيء يخشي غايلته واعصي الاعضا من الانسان اللسان
فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز
عن افته وعن غوايله والحذر عن مصايده وحبايله انتهي وفي الحكمة
لسانك اسدك ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك وكان
ابو بكر الصديق رضي الله تعالي عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني
الموارد فلما مات رؤي في المنام فقيل له ما الذي اورد لسانك قال
لا اله الا الله فاوردني الجنة وفي الحديث طوبي لمن ملك لسانه ووسع
بيته وبكي علي خطيئته وقال بعض الحكما لا شيء احق بالسجن
من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر
القفل ويفتح الابواب وقال بعضهم في الصمت سبعة الاف خير وقد
اجمع ذلك كله في سبع كلمات في كلمة منها الف اولها ان الصمت عبادة
من غير عنا والثاني زينة من غير حلي والثالث هيبة من غير سلطان
والرابع حصن من غير حايط والخامس استغنا عن الاعتذار الي الناس
والسادس

والسادس راحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت
كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاث اشيا تقسي القلب
الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة
وذكر عن الاوزاعي انه قال المومن يقل الكلام ويكثر العمل
والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال ابو بكر بن خلوق اللخمي رحمه
الله يموت الفتي من عثرة من لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي براسه وعثرته بالرجل تبرا علي مهل
وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين وقوله كف يحتمل
عمومه وخص منه الكلام بخير لحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليصمت ويحتمل انه من باب المطابق استعمل في الكف عن الشر
فلا يبقي له دلالة علي غير ذلك ومنشا الاحتمال ان الفعل يدل علي المصدر
جنس فيعم اولا فلا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ
بِهِ اللام للتاكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب فدل علي
ان معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفا هذا عليه قوله صلي الله عليه وسلم
في حقه اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل اما بحمل ذلك علي المعاملات
الظاهرة بين الناس والمواخذة المذكورة في معاملة العبد ربه
او انه انما صار اعلمهم بذلك الا بعد هذا السوال وامثاله من طريق
التعلم فَقَالَ ثَكِلَتْكَ بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة اي فقدتك أُمُّكَ
زاد ابن ماجه يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المراة ولدها
وليس المراد به حقيقته من الدعا بالموت بل هو من الالفاظ التي تجري
علي الالسنة من المجاوزات للتاديب والتنبيه من الغفلة كتربت
يداك او ان الموت لما كان يعم كل احد كان الدعا به عليه كلا دعاء
او ان المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة وَهَلْ حرف استفهام

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)